الفصل السابع

مصر القديمة .. و المسيحية

في ذلك اليوم يكون مذبح للرب
في وسط أرض مصر،
و عمود الرب ـ عند تخومها.
سفر الرسول إشعياء١٩،١٩

يرتبط تاريخ المسيحية القديمة بمصر ارتباطًا وثيقًا. فقد هربت إليها السيدة مريم؛ لتخبئ المخلص ، و هنا ظهر أوائل الرهبان و أوائل الأديرة المسيحية ، و هنا وعظ ، و عاش الشهداء المسيحيون الأوائل ، الذين وضعوا أسس لاهوت ما قبل المسيحية. و قد لعبت الثقافة المصرية القديمة دورًا مهمًا في تاريخ المسيحية. و أصبحت واحدة من أقدم الحضارات في العالم السباقة إلى تعلم كل جديد ، الذي انتشر تقريبًا في جميع بلاد المعمورة .

من غير الممكن فهم مصادر المسيحية ، ما لم نطالع الروحانيات المصرية القديمة ، حيث توجد علاقة وثيقة بين الثقافة المصرية القديمة و تاريخها و المسيحية القديمة. حيث بلغت المسيحية ذروة مجدها في عصر حكم الرعامسة عندما بيع النبي «يوسف» في سوق النخاسة المصرية.

حددت الطريق الطويلة للعائلة المقدسة المصير الروحي لتلك البلاد. حيث خصصت المقدسات المسيحية الموجودة في مصر للعديد من الأجيال المسيحية المصرية.

كان أول النساك ، الرهبان ، المتطهرون ، الصادقون و المقدسون ، الذين قاموا بأعمال تتسم بنكران للذات هم: أنطونيوس العظيم و بولس الطيبي ومرقص المصري ، و آخرون.

ترتبط التعاليم المسيحية القديمة مع مصر بروابط غير مباشرة، و هي واحدة من المراكز الأساسية للأخلاق و الميل إلى العقائد المركبة. و كلما حاولنا إدراك نظرة مصر القديمة للعالم ، سنجد تشابهًا ضئيلاً في فهم العالم وأساسيات الكون ، و سنصل إلى إمكانية لمس التربة العقلية ، التي أطعمت اللاهوتيين المسيحيين الأوائل ، الذين عاشوا و ترعرعوا على أرض مصر ، حيث كانت إحدى المناطق التي ظهرت فيها تيارات مثل :الغنوصية* و المانوية** وغيرها من المذاهب التي لعبت دورًا مهمًا في تأسيس المسيحية. تعود نماذج الأشكال المصرية ،

القديس أنطون و الأنبا بولس

و التنبؤات حول الحياة في العالم الآخر ، و أسس نشأة الكون المدونة على هيئة نصوص في البردية منذ آلاف السنين ، من أجل البشر المجسدين على صورة الإله و هما: الرب و مريم العذراء، في خلق العالم عن طريق كلمة الإله. «نشكر الرب....فهو من جلبنا إلى مصر و أشار إلى الأعمال العظيمة والفردية ، التي ينبغي علينا تذكرها

* مصطلح حديث يجمع الديانات القديمة التي انعزل أتباعها عن العالم المادي الذي خلقه خالق الكون المادي، و انغمسوا في العالم الروحاني.

** ديانة تنسب إلى ماني الذي ظهر في عهد شابور بن أردشير و قتله بهرام بن هرمز بن شابور بعد عيسى المولود عام ٢١٦م في بابل. و قيل أن الوحي أتاه و هو في الثانية عشر من عمره، و كان في الأصل مجوسيًا عارفًا بمذاهب القوم، و كان يقول بنبوة المسيح و لا يقول بنبوة موسى فنحى منحى بين المجوسية و المسيحية. وهي من العقائد الثنوية أي تقوم على معتقد أن العالم مركب من أصلين قديمين أحدهما النور والآخر الظلمة، وكان النور هو العنصر الهام للمخلوق الأسمى وقد نصب الإله عرشه في مملكة النور، ولكن لأنه كان نقيًا غير أهل للصراع مع الشر فقد استدعى «أم الحياة» التي استدعت بدورها «الإنسان القديم» وهذا الثالوث هو تمثيل «للأب والأم والابن»، ثم إن هذا الإنسان الذي سمي أيضا «الابن الحنون» اعتبر مخلصًا لأنه انتصر على قوى الظلام بجلده وجرأته، ومع ذلك استلزم وجوده وجود سمة أخرى له وهي سمة المعاناة، لأن مخلص الإنسان الأول لم يحقق انتصاره إلا بعد هزيمة ظاهرية. و يعد موضوع آلام الإنسان الأول وتخليصه الموضوع الرئيس في المثيولوجيا المانوية، فالإنسان الأول هو المخلص وهو نفسه بحاجة للافتداء.

و تدوينها...»*. تشهد تلك الأعمال الناكرة للذات على العمل الأدبي التاريخي «تاريخ الرهبان المصريين» ، وقد ألفه شقيقان من دير جبل الزيتون في فلسطين. و قد حضرا إلى مصر من مدينة ليكوبوليس حتى دلتا النيل ، حيث يعيش النساك ، وفقًا للأماكن المحددة بوضوح.

كان يدهشهم أي شيء ، و يدرسون كل شيء. خرجت مصر مهزومة من تاريخ الحضارات العالمية؛ لأن الثقافة و الدين المصري كانا على الدوام مصدرين لا ينضبان ، فهما يغذيان اللاهوتيين و ناكري الذات المسيحيين ، كما أنها وضعت على عاتقهما مهمة أن تكون رائدة في التعاليم العظيمة، و التعمق فيها.

دفعت وجهات النظر المختلفة للمشاكل متعددة الجوانب الخاصة بالدين، و التاريخ ، و الأحداث في مصر القديمة التي وردت في العهد القديم، مرارًا و تكرارًا إلى التوجه لبحثها و التعجب من التشابه الغريب للأفكار ، و أشكال ، و طرق التعبير عنها. لم نتعرض إلى مشاكل التعاليم بصورة مفصلة ، التي تعتبر حاضرة في المسيحية ، و السمات و الخصائص التي ميزت ظهور الطائفة القبطية ، التي نشأت في مصر الحديثة ، و ركزنا على العناصر الأساسية للثقافة المصرية القديمة ، التي أثرت على المسيحية. هذا و قبل أي شيء الأفكار المسيحية التي انعكست ليس فقط في العهد القديم ، و لكن أيضًا في الأدب الإنجيلي ، و كذلك ، تأثير صور الآلهة المصرية القديمة على الثالوث المسيحي، و ظهور الطقوس المصرية القديمة و الأيقونات في رموز المسيحية.

أثرت الأفكار الدينية المصرية القديمة على العقيدة المسيحية في المقام الأول اللاهوتية ، أصل و جوهر الوجود. و هنا تتجلي المقارنة بين أفكار نشأة الكون البابلية ، و نظرية القوى الإلهية لخالق الكون ، الموجودة في

نظرية منف اللاهوتية. على أية حال ، كان يعتقد بأن العالم خلق من كتلة القصور الذاتي للماء الفاتر بواسطة الكلمات ، أو الأقوال المأثورة.

* «تاريخ الرهبان المصريين" /بير.ن.أ.كوليكوف. م. ، ٢٠٠١.

ويتزايد الانطباع من التأثير العجيب على وضع الأطروحة اللاهوتية من خلال التعرف على التعاليم الخاصة بشعار فيلون السكندري. يؤكد شعار فيلون- على القوة الإلهية، و هو يتميز بها عن المفكرين اليونانيين السابقين أمثال: سقراط، و أفلاطون، و أرسطو و آخرين.

أصبحت قوة الكلمة، التي هي جزء لا يتجزأ من الفم و السارية من قبل بتاح الإله خالق الكون المادي، الذي اختزن أفكاره في قلبه، ثم بعد ذلك نطق بالكلمات، التي حولت هذه الأفكار إلى واقع متجسد، قوة خالقة للإله يتملكها الفيلون، و هذا الأمر تكرر في أثناء خلق الكون من قبل المنقذ. و سُجِلَت عملية الخلق عن طريق الكلمة في أول كتاب عن الوجود، الذي يحكي عن كيفية خلق الرب للعالم من خلال الكلمات.

نتذكر السطور الأولى من إنجيل يوحنا: «في البدء كانت الكلمة والكلمة من عند اللّه و كانت الكلمة هي اللّه، هذا كان في البدء عند اللّه، كل شيء به كان، و بغيره لم يكن شيء مما كان». (يوحنا ١،١٣). توجد في كل فصل لخلق الظواهر الكونية و الأرضية كلمات: «و قال الرب».

و فسرت تلك الأمثلة بشكل واضح العلاقة الوثيقة بين أسس خلق الكون الخاصة ببابل و المذهب اللاهوتي الخاص بمنف. لكن لم يكتف تشابه أفكار خلق الكون فقط بهذه الشواهد المدهشة. من المعروف أنه قد استخدمت في مصر الأنظمة المختلفة لخلق الكون، التي تنسب خلق الكون إلى ملكات القوى الخالقة لهذا أو ذاك الخالق. و تختلف الطرق، لكن في كل الحالات خُلِقَ العالم من القصور الذاتي لكتلة الماء: حيث ظهر منها تل بارز.

تعتبر نظرية الأشمونين لخلق الكون، التي - طبقًا لها - فإن أول أربع مقابلات للآلهة، المصورين في شكل المحيط البدائي، و الظلام، و الهواء، و الرياح، قد خلقوا الضوء و الظلام، هو الأقرب للغاية من النظرية البابلية الخاصة بخلق الكون. تلك الأفكار الموجودة في فصل خلق العالم، وُصِفَت

في العهد القديم. «في البدء خلق اللّه السموات و الأرض ، و كانت الأرض خربة و خالية و على وجه الغمر ظلمة و روح اللّه يرف على وجه المياه ، و قال اللّه ليكن نورًا فكان نورًا .... و قال اللّه ليكن جلَد* في وسط المياه ، و ليكن فاصلاً بين مياه و مياه ، فعمل اللّه الجلد و فصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد و كان كذلك" (التكوين ١،١-٧).

أوضحت دراسة الأدب البابلي أن الذين أنجزوها كانوا على دراية كبير بطبيعة مصر. كان هذا الأمر طبيعيًا فقد زاروا مصر كثيرًا. و كشفت أبحاث اللغات و المعاجم الخاصة ببابل عن وجود عدد كبير من الكلمات المصرية القديمة موجودة في نص واحد ، و كذلك وجود كلمات مصرية كثيرة في العهد القديم. على سبيل المثال ، توجد عبارة «إلى أبد الدهر» ، التي تتكرر بخشوع في النصوص المسيحية ، تساوي الكلمتين المتجانستين «إلى أبد الآبدين» في النصوص المصرية القديمة. ارتبطت دلالة الكلمة مع مفهوم الأبدية ، التي لا يوجد بها حدود للزمن ، و كذلك يظهر بها أولئك الصالحون الذين اعترفوا أمام أوزوريس.

كانت مدينة «مجدو» ، التي تقع على بعد ٣٠كم جهة الجنوب الشرقي من حيفا المعاصرة ، في الحقيقة مدينة الشرف العسكري عند المصريين ، والخزي و الهزيمة عند الأعداء.

و قد حقق هنا نيكاو الثاني أول نصر على الآسيويين عام ٦٠٩ق.م. وبعد أن دمرت قواته على يد يوشيا ملك يهوذا ، ثم قام الفرعون نيكاو الثاني بقتل نفسه. من العجيب أن مسمى هذا المكان من الممكن أن يصبح مرادفًا للرعب و للشر مجازًا. خاصة (أرمجدون) التي ذكرت في وحي القديس يوحنا أن اللاهوت عبارة عن مكان تتجمع فيه الأرواح الشيطانية. و تظهر من خلال دراسة السير الذاتية المسيحية أن لها أصولاً تعود إلى مصر القديمة. و ذكرت العديد من أسماء الآلهة المصرية القديمة في المذهب الأرثوذوكسي المسيحي. تايسيا - تا - إيسة ، أو إيزيس («تا» - هو عبارة عن مقطع يلحق بأسماء الإناث في مصر القديمة للدلالة على نوعها) ، باخوم - خنوم («با» - مقطع للذكور) ،

* - هو الهواء الفاصل بين مياة الأرض و المياة المتكونة من البخار في الغيوم ، فيحدد حدوذا للمياه السائلة.

و كان اسم آمون منتشرًا بصورةٍ كبيرة بين المسيحيين المصريين في بداية عصرنا. تقابلنا في النصوص القبطية المسيحية المصرية الكثير من أسماء الآلهة المصرية أمثال- حورس ، و إيزيس ، و نفتيس.

تعود رمزية الصليب كقوة باعثة على الحياة ، و إعادة الإحياء ، و الحياة الأبدية ، إلى الهيروغليفية المصرية القديمة عنخ- الحياة. و قد أولت الفلسفات الخاصة بخلفاء الإسكندر و خاصةً كليمنت السكندري ، اهتمامًا كبيرًا بهذه الرمزية ، معتبرين أنها تحوي في داخلها معنى ضمني. كانت الأشكال السابقة للصليب عند الأقباط تتشابه بصورة عجيبة مع العلامة المصرية. و كثيرًا ما اقترن تصوير الصليب بالزخرفة النباتية ، التي على سبيل المثال كانت توجد في زينة خلوة الأديرة. هذا الأمر لم يكن محض مصادفة ، حيث كانت الزينة المصرية- البردي مع البراعم- رمزًا للحياة الأبدية.

لعبت العطور دورًا كبيرًا في الطقوس المصرية القديمة. فمن أجل الحصول عليها قام المصريون برحلاتٍ شاقة و طويلة. و ذكرت القوة التطهيرية للعطور في النصوص المصرية القديمة. و قد أولى المصريون اهتمامًا كبيرًا برائحة العطور ، التي تصعد إلى السماء ، فتجذب انتباه الآلهة ، على سبيل المثال الإله بس- الوسيط بين عالم البشر و الآلهة. يُعد الصعود إلى السماء بواسطة سحابة من الدخان الذي ينتج عن البخور واحدًا من الطرق للوصول إلى مملكة الآلهة.

و كثيرًا ما كان يتم ذكر الروائح في النصوص الدينية ، و خاصةً ، في عمليات خلق البشر ، الذين يُعتقد بأنهم خلقوا من عرقَ أو دموع الآلهة. أصبحت العلاقة وثيقة للغاية ، حيث يدور الحديث في النصوص المصرية القديمة حول آلية استخراج العطور من دموع ، و عرق ، و لعاب ، و دماء الآلهة.

و يقترن ظهور الإله آمون بالعطور الذكية ، التي تصدر عنه في النقوش، التي تحكي عن الولادة المقدسة للملكة حتشبسوت. تم وصف مثل هذه الحالات في الأدب المسيحي. في أثناء قيام الرسول بولس بالخدمة الدينية ظهر راهب قبطي ، تفوح من فمه رائحة عطر ذكية. يُحكى في الأسطورة القبطية ، التي تدور حول مكان تابوت السيدة ، عن المسيح ، الذي ظهر في الحلم لأيودوكسيا، ابنة الإمبراطور ثيوديسيوس الثاني ، و أخبرها أنها يجب

عليها أن تتوجه إلى أورشليم و تعثر على مكان مقبرته. و عندما استيقظت أيودوكسيا النائمة في الصباح إذ بها مغطاة برائحة العطر.

تمتلك العناصر المنفصلة للطقوس الدينية المسيحية قرائن مصرية أو حتى أصل بدائي مصري. و كان القربان المقدس يشترط أن تكون القرابين من الخبز و النبيذ ، و من ثم يهبط الوحي إليهم كجسد و دم المسيح و في الطقوس المسيحية يعادل إطعامهم الحصول على النعمة من الرب. و يشكل الخبز و النبيذ القربان الأساسي الذي يقدمه الفرعون للإله في مصر القديمة ، و يرافقه الرجاء في منحه الحياة المديدة ، و الحكم الخير ، و التتويج (أو اعتبار الفرعون كابن للإله على العرش). و عبرت رمزية الأفعال عن صيغة «اعط ، كي تُعطى».

تمتلك فكرة الصلاة نفسها مثل التوجه للإله بالكلمات ، أصولاً مصرية قديمة ، ترتبط بالاعتقاد في القوى السحرية للأسماء أو الكلمات المنطوقة (المسميات) ، التي بدونها لم يكن ليوجد بشر أو أشياء. و كانت النصوص ، المنقوشة على جدران المعابد و المقابر ، و المكتوبة على البرديات في شكل أغطية لم تغير وسيلة التواصل مع الآلهة ، و جذب انتباههم ، و أخيرًا، الحصول على ما يتمنونه. يجوز القول بأن الصلاة المسيحية ، القائمة على قواعد محددة ، تعتبر هي الوسيلة الوحيدة للتواصل مع الرب.

انعكس الاعتقاد حول قوة المياه على تطهير النفس بصورةٍ جيدة في أقدم النصوص المصرية. حيث ساعدت المياه التي تُسكب من خلال الأوعية المقدسة أو الاغتسال في البحيرات ، على طرد الذنوب والشر من الإنسان ، أو الأدوات ، أو المكان ، و تدمر الشر ، و ترفع الأطهار إلى مرتبة القديسين. وصور المسيحيون تلك الفكرة. و بدت أنها جزء لا يتجزأ من طقوس التعميد، بالإضافة إليها و إلى الروح القدس ظهر سعي الإنسان لحماية المنقذ، و غفران الخطيئة الأصلية. بهذه الطريقة أصبحت الماء رمزًا للطهارة الروحية والأخلاقية. لكن بغض النظر عن التشابه العميق ، من المشكوك فيه هنا أن نتحدث عن الاقتباس ، حيث إن مرادف مفهوم الطهارة و المياه واضح بشدة.

تشهد المقاطع من بابل ، التي تتحدث عن مصر ، على سعة الإطلاع الرائعة لمؤلفي النصوص. و الأدهى من ذلك أنها تشير إلى وجود ترجمات (أو تدوينات) للأعمال الأدبية المصرية القديمة باللغة العبرية. هذا يوضح الطريق إلى نقل المعلومات و اقتباس نصوص عشوائية لمقاطع من العهد القديم ، التي يوجد لها مثيل في الأدب المصري القديم. لم يثر عدد من الدلالات البابلية أو الاقتباس المباشر من الأعمال الأدبية المصرية القديمة أية شكوك.

تعود واحدة من أقدم الاقتباسات زمنيًا إلى مقاطع من «ترنيمة آتون»، التي كتبت في القرن الـ١٤ ق.م. ، التي يوجد بينها و بين مزمور داود تشابهًا كبيرًا. و قيل في ترنيمة آتون "تظهر في أفق السماء أيها الشمس الحية، الذي يقدر الحياة ، تشرق في الأفق الشرقي في الصباح و تملأ كل البلاد بجمالك. ـ أنت بعيد و لكن أشعتك تصل إلى الأرض ، إنك في وجوههم ، و لكن مسارك مجهول. عندما تغرب تحت الأفق الغربي يبقى العالم في ظلام، في حالة كالموت ، النائمون في بيوتهم يكسون أنفسهم بالغطاء ، و لا ترى عين عينًا أخرى ، إذا سرقت أمتعتهم من تحت رؤوسهم ، لا يشعرون ، و يخرج كل وحش من مكمنه ، و الثعابين تلدغ. الظلام كالقبر ، و تبقى الأرض ساكنة ، إذ أن خالقهم قد غرب خلف أفقه". و قيل في المزمور ١٠٤: «الأشبال تزمجر لتخطف، و لتلتمس من الله طعامها ، تشرق الشمس فتجتمع ، و في عرينها تربض». (مزمور ١٠٤ ، ٢٠). مثال آخر من تلك الأعمال الأدبية. نقرأ في«ترنيمة آتون»:«وتسير السفن المحملة شمالاً و جنوبًا ، و كل طريق ينفتح بظهورك، و تقفز الأسماك في النهر أمام وجهك ، و تملأ أشعتك قلب البحار ... كم كثرت أعمالك و الخافي منها ، إنك الإله الواحد ، لا مثيل له. خلقت الأرض برغبتك متفردًا ، يعيش عليها الناس ، و الأنعام ، و كل الحيوانات». نقرأ المزمور ١٠٤ الذي يدور حول خلق العالم و وجود العديد من التشابهات: «ما أعظم مقاديرك يارب كلها بحكمة صنعت. ملأنة الأرض من غناك ، هذا البحر الكبير الواسع المترامي الأطراف. هناك سفن بلا عدد. صغار الحيوانات مع كبارها ، هناك تجرى السفن».

يوضح المثال أعلاه الحضور القوي لأفكار القوة الواحدة الواهبة للحياة في عقليات المصريين ، كأساس لكل الموجودات ، و الأفكار الراسخة حول

الخالق، التي تأكدت في أدب العهد القديم. بعد أن ظهر العامل الإثني الطائفي المهم ، الذي تأسس وفقًا للتشابه النصي الحرفي لاثنين من الأعمال الدينية الأدبية من زمنين مختلفين ، و نوعين مختلفين كذلك. و يجب الإشارة إلى الاتجاه التوحيدي الذي لا شك فيه للدين المصري القديم ، و قدرته غير المحدودة على الحياة. فمن المدهش أنه يحتوي على الشيء الأساسي الذي سمح للمعتقدات الأساسية للدين المصري في التوغل إلى العقيدة الدينية المسيحية.

الثالوث أو ثالوث الآلهة ، الذي تم إدراكه على أنه رمز غير قابل للتغيير للعقيدة المسيحية. فإذا فكرنا أنها جوهر هيمنة الإله. و لكن ، أليست هذه هي الفكرة نفسها الخاصة بثالوث الآلهة خبري ـ رع ـ أتوم ، الذين ، وفقًا لما قاله رع نفسه ، موجودون في النصوص المصرية ، فإنه يوجد العديد من الأسماء تخص إلهًا واحداً فقط ، و في واقع الأمر لأية قوة إلهية: «أنا خبري في الصباح ، و رع في منتصف النهار ، و أتوم في المساء». توجد تلك الفكرة في «نشيد آتون اللاهوتي»: «الثالوث (الآلهة) ـ جوهر الآلهة كافة ـ آمون ، رع ، بتاح. لا مثيل لهم. يوجد لآمون الذي لا يُرىَ وجه رع و جسد بتاح". و بهذه الطريقة ، كان الاقتناع في أنه يوجد في واقع الأمر من بين آلهة البانتيون قوة إلهية عظيمة واحدة فقط تتولى عملية الخلق ، تأصلت ، و استلهمت بشدة ، النظرة المصرية للعالم مثل أفكار التوحيد التي حققت إرادة أخناتون.

أثرت نوعية التعاليم ، الخاصة بالأدب المصري القديم ، على النصوص البابلية. في كتاب رجال دين سليمان عدد كبير من الأماكن التي تعد إعادة للحكاية أو حتى تقترب من الترجمة الأصلية «لتعاليم امنموبي» المصرية القديمة الشهيرة» ، التي تعود إلى الفترة ما بين الأسرتين المصريتين الثانية و العشرين و السادسة و العشرين. حيث لم يثر وجود اللغتين المصرية والعبرية أي شك خلال دراسة تلك الأعمال.

و كتاب «أمثال سليمان» في حد ذاته ـ عبارة عن تعاليم مصرية قديمة موجهة من الأب إلى ابنه ، التي ظهرت في بداية الألفية الثانية ق.م. ، و قد ألفها الملك الحكيم آنذاك. حيث توجه إلى ابنه بتلك الكلمات: «اسمع يا بني

تأديب أبيك» (الأمثال ١). كانت الكلمات التعبيرية في كلا العملين الأدبيين مدهشة للغاية.

تتجلى الأفكار الخاصة بالمساواة أمام الإله بعد الموت ، و الأفكار الفلسفية عن جوهر أعمال الإنسان في الحياة ، المذكورين في «تعاليم امنمؤوبي» ، في كتاب أمثال سليمان. و هو يرتبط بإدانة الإنسان الساعي للوصول إلى الثروة. يقال في «تعاليم امنمؤوبي»: «لا تجتهد في العثور على الفائدة حتى تلبي احتياجاتهم. لا تفرح من أجل ثروة تأتيك عبر السرقة ، فقد لا تقضي الليل معك؛ و في الصباح هي في بيتك ، و يمكنك رؤيتها ، لكنهم بالفعل رحلوا...صنعوا لأنفسهم أجنحة كالإوز و طاروا نحو السماء». و قيل في كتاب أمثال سليمان: «لا تتعب لكي تصير غنيًا. كف عن فطنتك. هل تطير عيناك نحوه و ليس هو؟ لأنه إنما يصنع لنفسه أجنحة. كالنسر يطير نحو السماء» (الأمثال ٢٣ ، ٤-٥). و هناك تعاليم أخرى - لا تصاحب رجلاً حاد الطباع أو متعصبًا، اسمع الحكم و افهمها جيدًا - فيبدو أن كلا الكتابين يتطابقان حرفيًا بالكامل.

انعكس التشابه الفكري لليهود المتعلق بتعاليم الأفكار الدينية المصرية القديمة حول معايير السعادة في الأرض ، لكن حول العالم الآخر كانت غير معروفة ، في «أغنية العازف على الهارب»: «لا أحد عاد ليقص كيف يحيون هناك ، في ماذا نأمل.... انشر الأمل طالما أنك حي.... ضاعف من سرورك و لا تنصاع لليأس.... لا أحد يستطيع أن يأخذ ثروتك معه ، و لا أحد ممن ذهبوا سيعود ثانية». في الكتاب المقدس قيل: «اذهب كل خبزك بفرح، و اشرب خمرك بقلب طيب... طب عيشًا مع المرأة التي أحببتها... لأنه ليس من عمل ، و لا اختراع ، و لا معرفة ، و لا حكمة في الهاوية التي أنت ذاهب إليها» (الجامعة ٩ ، ٧-٩).

تتصل وسيلة نقل المعلومات مباشرةً بالعلاقات اليهودية المصرية ، التي بدأت في الأزمنة السحيقة. انعكس إدراك الأفكار المصرية القديمة لليهود في النبوءة البابلية حول يوسف ، الذي ، وفقًا لكتاب الخروج ، توفي و هو يبلغ من العمر ١١٠عام ، فكان يعتبر مثاليًا بالنسبة لمصر. و تم تحنيطه و دفنه تبعًا

للطقوس المصرية. أدرجت الأحداث المنفصلة في مصر ضمن التقاليد الأدبية المحلية. و هكذا حاولت زوجة عزيز مصر ، الذي كان يعمل لديه ، أن تغوي يوسف ، لكن بعد أن صدمها بالرفض ، شهَرت به أمام زوجها. ظهرت تلك الأفكار الرئيسة في «حكاية الأخوين» المصرية القديمة ، و فيها شهَر باتا بزوجة أخيه الأكبر بعد أن رفض أن يشاركها الفراش. تجسدت في كلتا الحالتين الشجرة السحرية. في الحكاية المصرية تحول باتا إلي الشجرة نفسها، و بعد قطع تلك الشجرة خرج منها وريث العرش. في المعتقدات البابلية تناسل بنو إسرائيل في مصر بفضل تلك الشجرة.

يوسف و عائلته ، الذين ارتحلوا إلى مصر ، بلا أدنى شك فهم ينتمون إلى الصور الجماعية ، التي ظهرت بفضل علاقات مصر الثقافية التاريخية الممتدة لقرونٍ طوال مع الشرق الأوسط ، نتيجة تركز السكان الساميين في دلتا النيل ، الذين انتشروا بعد ذلك في مصر بأكملها. ساعد البحث في المقاطع البابلية، التي تحكي عن يوسف ، و النصوص المصرية القديمة ، على تحديد أقاليم مصر ، التي نشأت عبرها علاقات مصر منذ غابر الأزمان. و وصل إلى مصر والد يوسف و عائلته عبر ذلك الطريق ، و حرر موسى شعبه من السبي ، و قبل ذلك بكثير هرب من مصر سنوهي ، الذي خاف لدرجة الموت بعد علمه بتدبير انقلاب داخل القصر. و كانت تلك الطريق تمر عبر وادي طميلات و البحيرات الدافئة ، التي ربطت البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر ، و كذلك مصر بسيناء و الشرق الأوسط. و ظلت قائمة على مدار ثلاثة آلاف عام من تاريخ مصر ساعدت الطريق على التقارب بين الشعوب ، و تأسيس منطقة ثقافية تاريخية ظهرت فيها تعاليم دينية جديدة.

يرتبط تاريخ موسى بطريقة ما مع مصر ، ليس فقط لأن زوجة الفرعون عثرت عليه و ربته ، و لكن أيضًا لأن نشأته كرسول كانت على أرض مصر. و قد نزل عليه الوحي في جبل سيناء و قاد شعبه إلى أرض الميعاد. يذكرنا الحدث المأساوي لخروج اليهود من مصر ، المرتبط بمعجزة موسى ، الذي قام بتحويل البحر إلى يابسة ، بالأحداث من «حكايات بردية ويستكار».

من المعروف أن موسى بسط يديه على البحر ، و إذ به تحول إلى يابسة ، و انشقت المياه عن اليمين و عن اليسار. و ذكرت أحداث مشابهه في واحدة من«حكايات بردية ويستكار» (انظر فصل «اللغة و الأدب»).

و كما يذكرالوصف المقدس ، أن موسى تعلم فنون السحر على يد المصريين. بالفعل وصفت القدرات الساحرة قبل آلاف السنين في بردية«ويستكار» ، حيث قام أحد أبطال الحكاية ، و هو دجدي من العامة ، بتحويل الصولجان إلى أفعى (و وفقًا لكتاب الخروج ، فأنه علم السيد موسى القيام بتلك الأمور) و أخرج المياه في الصحراء من الصخور.

ساعد اليهود كثيرًا في إليفنتين ، الذي صور في نهاية القرن الـ٧ ق.م.، وكذلك في العديد من المدن المصرية ـ إدفو و الأشمونين ـ على تغلغل الأفكار و المعتقدات الدينية المصرية القديمة في آداب العهدين القديم و الجديد. في القرن الـ١٠ ق.م. تزوجت ابنة أحد فراعنة مصر من الملك سليمان. كان من الصعب تقييم أهمية تلك الحقيقة بالنسبة إلى التغلغل المشترك للأفكار الدينية. و على أقل تقدير من الممكن أن تعتبر عظيمة للغاية ليرافقها وفد من المصريين رافعي المكانة. كانت هذه الحقيقة مهمة في سياق إعلان الفرعون امنحوتب الثالث عن عدم زواج بنات الفراعنة من الأجانب. و على الرغم من أنه استنكر الهروب إلى مصر و عيش القبائل اليهودية على أراضيها في العديد من الكتب البابلية ، بسبب انتشار هذه الظاهرة بصورة كبيرة. كان لتأثير الثقافة المصرية على اليهود المؤمنين أثرًا عظيمًا ، حيث أنهم عبدوا خنوم الإله المصري القديم ، الذي خلق البشر على دولاب الفخار خاصته، برفقة ربهم الأصلي.

تم العثور على هذا الانعكاس في العهد القديم (سفر الرسول إشعياء ، وسفر الرسول إرميا ، و سفر أيوب) ، حيث تحدثوا فيهم عن اللّه و صوروه في هيئة صانع الفخار ، ظهرت فكرة خلق الإنسان من الطين في «تعاليم امنموؤبي» ، حيث قيل: «الإنسان ـ هو طين و قش ، و الإله خالقه. هو (=الإله) يدمر و يخلق كل يوم». ذكر في سفر حكم عيسى ، ابن سيراخ ، نفس الأمر: «كما يكون الطين في يد الخزاف و تجري جميع أحوال بحسب مرضاته كذلك

الناس في يد صانعهم و هو يجازيهم بحسب قضائه». توجد مثل هذه الأفكار في سفري أمثال سليمان و حكم بولس الموجهة للرومان.

ظهرت صور اللّه في العديد من مقاطع أسفار موسى الخمسة على شكل طائر له جناحان من الفخار. و يتضح هنا التأثر بشكل حورس بحدتي ، الذي صور في شكل صقر و قرص شمس ذي جناحين عظيمين.

تركت أسطورة حورس بحدتي ، هازم التماسيح و أفراس النهر ، الذي حمى قارب الإله رع الشمسي ليلاً في أثناء رحلته في البحر الأبيض المتوسط، تأثيرًا على محتوى أيقونة القديس جورج الذي هزم التنين رمز قوى الشر. كان انتصار حورس على التماسيح ، المتمثلة في شكل الإله سوتخ ، بمثابة انتصار الخير على الشر. صورت أقدم تماثيل حورس بحدتي في ملابس الرومان الحربية أو كان يقترب في شكله من القديس جورج ، على ظهر الجواد ، الذي يطعن التمساح برمحه. صورت هذه الأيقونة على أقمشة الأقباط ، و بعد ذلك انتشرت بصورة كبيرة خارج حدود الدولة.

لم تسجل العديد من الأبحاث التشابه بين الإله المصري آمون و الرب في العهد القديم. الشيء المؤكد أن الإله المصري و كذلك مذهب خلق الكون الخاص بالأشمونين كانا نموذجين يحتذي بهما حكماء العهد القديم. ولم يكن ظهور الكبش ، و حمل الرب ، و حيوان آمون المقدس ـ الكبش، محض مصادفة. انتشر تصوير الإله كراعي غنم (الراعي) لشعبه بكثرة في الكتابات ، و كذلك ظهر لأول مرة في «أناشيد ليدن» لآمون. ذُكِرَ في سفر الخروج أن موسى رأى أحراشًا محروقه عندما كان يرعى غنم والده. و هنا كما في أناشيد آمون تظهر فكرة حول عدم إمكانية الوجود بدون إله ، لأنه بدون إله سيصبح البشر مثل القطيع دون راع. تكررت هذه الفكرة كثيرًا في آداب العهد القديم و العهد الجديد.

كما لمسنا أنه عبر تلك الأشكال البسيطة ، ظهرت الأفكار الكثيرة، التي تشكلت في المسيحية القديمة ، في المعتقدات المصرية. و يذكر وصف مولد المسيح في بابل في موضوعٍ من «حكايات بردية ويستكار». تنبأ

دجدي، و هو أحد العامة بعد ١١٠ عام من ميلاده ، الذي يمتلك القدرة على التنبؤ و القيام بأعمال السحر ، للفرعون خوفو بميلاد ثلاثة أولاد ، منهم من سوف يستولي على العرش. و قد أنجبتهم رودجدت ، زوجة كاهن رع إله الشمس. أمر الفرعون خوفو بقتلهم.

و في عهد الملك هيرودس وقعت حادثة مأساوية حيث إنه أمر بقتل جميع الأطفال الذين يبلغون من العمر عامين؛ لأن كان من بينهم المخلص.

يذكر بصورة مدهشة تاريخ حياة المسيح نفسه ، الذي سرد في الإنجيل بداية من لوقا وهناك تاريخٌ أكثر تفصيلاً في الإنجيل الذي انتحله«توماس»«حكايات ستني-خعمواس» المصرية ، التي يعود تاريخها إلى القرن الـ١ ق.م. ، لكن الموضوع ذاته قديم للغاية. تاه المسيح ، الذي ذهب إلى أورشليم مع والدته ، و هو يبلغ من العمر ١٢ عامًا في أثناء عيد الفصح. «و بعد ثلاثة أيام عثر عليه في الهيكل جالسًا في وسط المعلمين يسمعهم و يسألهم، و كل الذين سمعوه بهتوا جراء فهمه و أجوبته» (لوقا ٢ ، ٤٦-٤٧). ذكرت بشكلٍ خاص في حكايات الصغير سا - أوزوريس ، ابن ستني خعمواس. هل من الصدفة وجود اشتقاق في اسمه - «ابن (الإله) أوزوريس» - أو يحمل عمقًا فكريًا ، و تستبعد الشكوك حول إمكانية وضعه. على الأرجح إن تشابه الأحداث العشوائية لتاريخ حياة عيسى و ابن الإله المصري لم يثر أي شك. و جاء في الحكاية:«عندما نضج سا - أوزوريس و اشتد ساعده ، أرسلوه إلى المدرسة. لكن لم يمر زمن طويل ، إلا و أصبح يعرف أكثر من الكاتب ، الذي يعلمه. و بدأ الصغير حينها يقرأ التعاويذ برفقة كتبة بيوت الحياة في معبد بتاح ، وأصابت الدهشة كل من استمع إليه».

الفقر و الغنى مثل المتناقضات في الحياة و الآخرة ، و المتعة اللحظية ، و السلطة في الأرض أو الراحة الأبدية ، و الثواب بعد الموت - ها هي واحدة من الأفكار الموضحة لحكايات ستني- خعمواس ، فموضوعاتها بسيطة للغاية. راقب أبطال تلك الحكايات الدفن المُرفه للإله - ذلك الإنسان الذي يشيعونه بالعويل الحزين ، و النحيب ، و الدفن البسيط للفقراء المكفنون داخل حصيرة بالية ، الذين لا يودعهم أحد في أثناء رحيلهم إلى مثواهم الأخير.

لا تحدد مكانة الموتى وفقًا لثروتهم ، و إنما لأعمالهم طوال حياتهم. «إذا أشفقت ـ يتحدث سا-أوزوريس إلى أبيه ـ سأريك ماذا ينتظر ذلك الفقير في العالم الآخر ، الذي لم يحزن عليه أحد ، و هذا الغني ، الذي رثاه الجميع.... اتبعني و سأريك كيف يبدو مصيرهما في العالم الآخر».

رافق سا ـ أوزوريس أباه في مملكة الموتى و أراه الإنسان المرتدي ملابس راقية. ظهر أن هذا الشخص هو نفسه الفقير ، الذي دفنوه في حصيرة بسيطة. حدد الإله تحوتي أن يعيش سعيدًا لأيام قليلة في الحياة ، و لكنه كان يقوم بالعديد من أعمال الخير. حينها قررت الآلهة أن تمنحه تلك الملابس التي كان يرتديها الرجل الغني. و تتحول الأعمال السيئة التي قام بها الأخير إلى صالح،«حينها سمحت الآلهة بدفنه في عالم الموتى.... و تبرز أبواب اللسان من عينه اليمنى... انظر يا أبي ستني! أرواحهم تصعد إلى محكمة مملكة الموتى ، و إذا ارتكبوا الشر ، هنا يجازوا عليه شرًا. هذه هي القاعدة التي لم تتغير منذ أي وقت مضى».

تحتوي تلك الأعمال في الأدب العالمي على أول وصف للجحيم. هكذا، رأى ستني ـ خعمواس البشر ، الذين يفتلون الحبال ، التي تأكلها حميرهم الواقفة في الأسفل. يتمددون للأعلى ، محاولين الوصول إلى الخبز و المياه ، الموضوعة أسفل رؤوسهم ، و آخرين في ذلك الوقت يحفرون الحفر أسفل أقدامهم لكي لا يتمكن أحد من الوصول إلى طعامهم. يتجمع ، الذين ارتكبوا الآثام، عند الأبواب ، آملين بتوسل في طلب السماح ، في عين أحدهم برز لسان ذلك الباب. يصلي الإنسان و ينتحب ، و عندما يفتح الباب و يغلق ، يتجه لسانه إلى عينيه. تكررت تلك الأحداث في نبوءة لعازر الفقير في إنجيل لوقا. و ظهرت هذه الفكرة في «حياة الأب أبيما» القبطية ، حيث تحكي أن سيماخ، الذي قتل الشهداء المسيحيين ، توجه إلى الجلاد بعتاب ديسقورس ، بعد أن توعده بالموت كعقاب له. فأجابه الجلاد : «أنا سأموت ، و سأظل في هذا العالم وسيضعونني في بؤبؤ العين اليمنى لقفل الباب ، الذي يقود للعالم الآخر».

خصص التفكير حول القيم الحقيقية للإنجازات الخاصة بالإنسان من أجل مصر. صورت فكرة تحديد وضع الإنسان في العالم الآخر ليس وفقًا لثروته و إنما لأعماله في «تعاليم مريكارع».

في ذلك الوقت ، عندما كتبت النصوص و الحكايات ، التي وصلت إلينا (٤٦-٤٧ ق.م) لم يكن إنجيل لوقا قد ظهر بعد ، الذي ورد فيه ذلك الموضوع. يتحدث فيه عن أحد الأغنياء: «كان إنسانًا غنيًا و كان يلبس الإرجوان والبز و هو يتنعم كل يوم مرفهًا ، و كان أحد المساكين اسمه لعازر الذي طرح عند بابه مضروبًا بالقروح ، و يشتهي أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغني بل كانت الكلاب تأتي ، و تلحس قروحه ، فمات المسكين و حملته الملائكة إلى حضن إبراهيم و مات الغني أيضًا و دفن ، فرفع عينيه في الجحيم و هو في العذاب و رأى إبراهيم من بعيد و لعازر في حضنه فنادى و قال «يا أبي إبراهيم ارحمني و أرسل لعازر ليبل طرف إصبعه بماء و يبرد لساني ، لأني معذب في هذا اللهيب» فقال إبراهيم «يا بني أذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك و كذلك لعازر البلايا و الآن هو يتنعم و أنت تتعذب» (لوقا ١٦ ، ١٩-٢٥).

تعتبر الأفكار حول محكمة الموتى ، الموجودة في «كتاب الموتى» هي أساس التعاليم المسيحية الخاصة بمحكمة الموت. و هي تقدم تصورًا عن ساحة المحكمة ، التي تحكم على الملك الذي كان يحكم في الأرض ، وتحصي أعمال الخير و الشر ، التي قام بها الإنسان على الأرض. و فكرة الثواب و العقاب، بُناءً عليها يدخل الإنسان إما إلى الفردوس أو الجحيم ، حيث ينتظره العذاب و الشقاء. بغض النظر عن التصوير المزخرف في العقيدة المسيحية حول روح الإنسان ، التي تعد منبع أعمال الخير و الشر ، نقابل في بابل (كتاب أيوب و أمثال سليمان) عبارات مثل: يزن الإله الروح أو: يزن الإله القلب. الأخيرة ظهر بلا أدنى شك نتيجة التأثر بالتصاوير المصرية القديمة.

كان الإله تحوتي و الإله أنوبيس هما المساعدان الأساسيان لأوزوريس في المحكمة ، في عملية وزن القلب. تحوتي ، إله الحكمة و الكتابة ، كان يدون المحاسبة و الأحكام ، و يعتمد عليه الحكم النهائي لأوزوريس. و بهذه

الطريقة بدا تحوتي و كأنه المتحكم في مصير الإنسان. أوضح هذا الفصل المهم التأثير من خلال ميخائيل رئيس الملائكة. و هكذا ، ورد في رسالة بولس الرسول ، التي تلقاها من اليهود ، جدال رئيس الملائكة ميخائيل مع الشيطان حول جسد موسى. فقال رئيس الملائكة ميخائيل «لم يجسر أن يورد حكم افتراء» بل قال «لينتهرك الرب» (يهوذا ١ ، ٩).

لكن ، نتوجه إلى مفهوم الروح نفسها كجوهر البعض ، القدرة على الحياة في جسد و تركه بعد الموت. كانت فكرة تعقيد و تقلب التصاوير المصرية القديمة حول الأجزاء المركبة للمصير الإنساني ، موجودة في كلتا الديانتين. من الجائز أن نقول إن العديد من جواهر الإنسان (البا ، الكا ، وغيرهما.) التقوا جميعًا في العقيدة المسيحية تحت مفهوم واحد و هو «الروح» ، التي تظل باقية حتى بعد الموت. و أصبحت فكرة عودة الروح للجسد و توحدها معه ، التي كانوا يؤمنون بها في الأدب المصري القديم بصورة كبيرة ، فكرة مركزية لتزيين الموتى الأتقياء في العقيدة المسيحية.

عرف «الاعتراف بالذنوب» أمام ٤٢ قاضيًا و أوزوريس بين علماء المصريات بـ«الاعتراف الإنكاري». توغل من خلال أفكار الأخلاق الرفيعة ، و قد قام على أساس الإنكار أو إحصاء ما لم يقم به. و منه ظهر مفهوم الخطيئة و التوبة عن طريق الاعتراف. و من المشكوك فيه أن تمتلك تلك الحقيقة أهمية ، حيث إن الاعتراف في العقيدة المسيحية يقضي ليس بالإنكار و إنما بالتوبة أمام اللّه في حال عدم الامتثال للأوامر.

لا تعتبر موضوعات السرد فقط هي الشاهد على تأثير العقلية المصرية على الدين المسيحي ، و لكن العبارات المتشابهة أيضًا. و هكذا ، وجد تشابه كبير بين كلمات المسيح في إنجيل متي: «كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون» ، و كلمات الفرعون بادي باست: «من يشحذ السيف سيغمده في رقبة أحدهم».

أثرت تصاوير الآلهة المصرية على الأيقونات المسيحية. بالعودة إلى أوزوريس. ورد في سيرة حياة هذا الإله تاريخ حياة المسيح و مصيره بعد وفاته.

الحياة على الأرض ، و السعي لمساعدة البشر ، الخيانة ، الاستشهاد ، إنقاذ الأحبة و الزوجات اللواتي يبكين عليهم ، البعث و اكتساب الحياة الأبدية، لكي تصبح محاكمة البشر هناك خارج حدود عالم الأحياء ، في أعماق مملكة الموتى طريقها مليئ بالعقبات. توفى الجسد الدنيوي لأوزوريس فعليًا ، فهو خالد في الأبدية اللانهائية. ربط المصريون بين آمال إنقاذهم وأوزوريس ، الذي تجسد في الحياة الأبدية. و هو ينير للبشر بحياته ، و موته ، و بعثه ، طريقهم إلى النصر على الموت ، الذي اعتبر في مصر القديمة شرًا يجب التغلب عليه.

تظهر فكرة البوابات ، التي يفتحها الرب في كلمات المسيح في إنجيل متي ، و إنجيل لوقا ، و الوحي: «أنا هو الباب ، إن دخل بي أحد فيخلص».

لم يعرف تأثير مصر على العقيدة المسيحية حدود الفكرة العامة عن الخلود فقط ، على الرغم من أنها واحدة ، إلا أنها كانت كافية ، لكي يحني الإنسان رأسه في إعجاب أمام أولئك الذين شعروا بقيمة الخلود قبل آلاف السنين ، و كذلك الطريق إليه المصحوب بالمعاناة.

تكررت صور إيزيس ، الأم ، التي أنجبت ابنها حورس من أوزوريس الميت عن طريق ولادة أشبه بالمعجزة ، لأجل ذلك تحولت إلى طائر ، خلال آلاف السنين. يتشابه تاريخ تربية حورس، الذي أخفته أمه عن أعين الأشرار ، بصورة غريبة مع تاريخ المسيح. تم اكتشاف التأثير الأيقوني لإيزيس بفضل تصوير السيدة العذراء و انعكاس صورة الأم المرضعة في الفن في فترة ما قبل المسيحية - السيدة العذراء المرضعة ، و القديسة أنا ، التي أرضعت مريم العذراء ، القديسة إليصابات، التي أرضعت يوحنا المعمدان. كان هذا إنجاز سابق للطراز المصري القديم. و توجد في هذه الرمزية صلة عجيبة للبداية الإلهية و الملكية ، التي تعود إلى أقدم التصاوير المصرية حول إرضاع الفرعون من ثدي الإلهة. حفظت أروع الأدلة في دير إرميا المقدس في سقارة ، حيث يوجد هناك تصوير للسيدة العذراء يشبه التصاوير المصرية إلى حدٍ كبير: الأم تحمل المسيح بين يديها بقوة و تعطيه ثديها ليرضع.

لكن يجب الإشارة إلى أن صورة إيزيس التي تشبه السيدة العذراء ما زالت أيقونة في المسيحية ترمز لعاطفة الأمومة. فهي تعتبر حامية مدينة لوتيشيا (حاليا. باريس). لم يتواجد معابدها أبدًا هناك حيث يقبع متنزه كلوني الآن. لكنه مع انتشار تمثال إيزيس برفقة التماثيل المسيحية الأخرى تقريبًا حتى عام ١٥١٤م أصبح يوجد في الجهة الجنوبية من دير سان جيرمان ـ دي ـ بري الكاثوليكي.

تمتلك الأيقونات العديدة للسيدة العذراء ، اللواتي ترتبطن بمكان محدد ، حيث تعتبر حامية تلك الأماكن ، أينما تكون يتوجه إليها معبدها ، طرازًا أصليًا في مصر القديمة ، حيث كان جميع الآلهة إما محليين أو أصحاب معابد و هكذا عبدهم السكان المحليون. كانوا يمتلكون اختلافًا نصيًا و تصويريًا في النعوت و تفاصيل الملابس ، لكن لم يكن لهذا الأمر علاقة بالإيمان الأصلي. تُعد هذه التقاليد بلا أدنى شك نتيجة لانفصال الأعراق والمناطق في الماضي ، لكن بطريقة أو بأخرى ، خرجت إلى النور تقاليد الورع الفردي (أو العام) ، ما نحًا صورة للإله أكثر حيوية و ربطته بالمحيط القريب منه.

القديس كريستوفر ذو رأس الكلب

تم العثور على انعكاس للتصاوير التعبيرية ، للآلهة ذات الخصائص المتعلقة بالحيوانات من أجل أيقونات مصر القديمة ، في المسيحية. من أشهر التصاوير المسيحية : يوحنا ذو رأس الكلب و لوقا ذو رأس الصقر. لم يعتبرا بالطبع اقتباسًا مباشرًا من مصر ، و لكن كان هناك تشابهًا بسيطًا بلا أدنى شك. هكذا ، على سبيل المثال ، قدسوا في مصر الثور المقدس أبيس ، على الرغم من أننا نادرًا ما نصطدم بتصاوير للآلهة أصحاب رؤوس الثيران في الأيقونات. ظهرت صورة الصقر كطائرٍ مقدس في الفن القبطي بعد تأثرهم بالصلات مع روما و الشرق الأوسط. و بالتالي كان هناك تأثير غير مباشر ، فعلى الأرجح أن فكرة تصوير القديسين ذوي رؤوس الحيوانات نفسها قد نشأت في مصر القديمة.

كثيرًا ما نرى الرأس السوداء لابن آوى أنوبيس ، الإله ـ حامي بوابات العالم الآخر، في الأيقونات القبطية ، و على الأكفان في عصر ما قبل الحقبة

البيزنطية. فقد أحيت التقاليد الزمان و المكان. حتى في روسيا فقد تم تصوير القديس كريستوفر كثيرًا ، و هو إنسان له رأس كلب ، و حمل اسم القديس كريستوفر ذو رأس الكلب. و قد وصلت إلينا الشواهد من صانعي الأيقونات مثل ما كتبه أحدهم على صورته: «رأس كلب سلوقي ، يحمل في يده الصليب ، و الأخرى تحمل السيف». و رسم على الدروع الحربية ، العباءات ، والأحذية ، له رأس كلب مرفوعة لأعلى ، و فكان بأسنانهما ، و تحيط بتلك الرأس هالة نورانية.

و شرحت في عدة أساطير كيف يمتلك القديس كريستوفر رأس كلب. وفقًا لهم ، فهو قد ولد في بلدة رؤوس الكلاب. تمكنت عبادة الإله ذي رأس الكلب من الانتشار في الإمبراطورية الرومانية ، بغض النظر عن الاحتجاجات العنيفة من قِبل الشعب ، التي انعكست في الثقافة الدينية لهذا العصر. هكذا ، يحكي لوسيان السوماسطي ، كيف استقبلت الألهة الهيلينية أنوبيس ، الذي ظهر في اجتماع الآلهة: «من أنت يا عزيزي و كيف توسوس نفسك إلى نباحِ مثلك في أن يصير إلهًا؟» انجلت تلك المقابلة العدائية مع أنوبيس في «إنيادة»/يرجيل و في مقالات القديس أغسطينوس.

و يرجح أن الشيء المدهش هنا هو تمكن أنوبيس من حجز مكان ثابت بين الآلهة ، المرتبطين بالعالم الآخر. و يشهد على ذلك التصوير المرسوم على أحد الأكفان في منتصف الألفية الـ٢ ق.م. ، المحفوظة في متحف بوشكين للفنون التطبيقية. ظهر أنوبيس ذو رأس ابن آوى و هو يقبض أرواح الموتى. لم يتمكن الساخرون في المجتمع الروماني المتراخي من هدم التقاليد و أكملت صور الأشخاص أصحاب رؤوس الكلب مسيرتها من خلال بيزنطة.

من أجل فهم تطور الصورة يجب أن نرى الصفات النظرية لأنوبيس في القديس كريستوفر ، و نذكر خصائص عبادة أنوبيس ابن آوى ، ذاك الملك